الحيوان والانسان

١

كان الانسان في القرون الخوالي صديقاً حميماً للحيوان يجمع بين الاثنين كثيرٌ من العوائد والآداب والتقاليد والشؤون الدينية والاجتماعية كما لا يزال ذلك ظاهراً في حياة القبائل الهمجية القاطنة في الاحراش والسهول والجبال والجزائر من العالمين القديم والجديد . وما زال هذا الرباط يتحلل شيئاً فشيئاً كلما ازداد الانسان ترقياً في درجات المدنية والحضارة الى ان تلاشى في اكثر البلدان العامرة ولم يبقَ الحيوان الاّ خادماً للانسان ينتفع منه ويسخره فيما يشاء من الاغراض عاملاً في الوقت نفسه على ملاشاة الوحوش المفترسة التي ليس له منها نفع

لا جرم ان الانسان القديم كان يقضي معظم حياته في الالفة والاشتراك مع العجماوات التي حوله . فكان يرى انها شبيهة به من كل الوجوه وانها تتكلم وتتفاهم وتفتكر ولا تنحط عنه بشيء وكان يحترم بعضها ويخاف البعض الاخر منها حاسباً نفسه حقيراً ذليلاً بالنسبة اليها . فاعتقد بان لها جميع صفات النفس العاقلة وانها تفوقه قدرة وبأساً . ولذلك ألّه بعض انواعها اما لعقلها كالقردة او لحدّة بصرها كالعقبان والنسور والغربان او لقوتها وشراستها كالنمورة

والادباب والتماسيح وغيرها · وكان يرتاح الى محاكاتها وتقليدها او الاتصاف بصفاتها ويحمل لاجل نيل ذلك التمائم والتعاويذ المختلفة كشيء من مخالبها وانيابها واصوافها معتقداًبان هذه الاشياء تكسبه ولا شك قوةً وشجاعةً وصفات اخر لازمة كان في حاجة اليها في تلك العصور ضماناً لحياته وبقائه

ولما كان الناس في اعصر جهلهم وانحطاطهم كثيري التنقل من مكان الى آخر فكانوا بلا شك يشاهدون علَى الدوام وحوشاً جديدة لم يروها من قبل فيندهشون ويندهلون ولا يلبثون ان يسجدوا لها كآلهة · فمن ذلك مثلاً ان بعض القبائل التي كانت قاطنة في سهول اواسط اسيا لما ارتحلوا الى الشمال ونزلوا في سيبيريا التقوا هناك «بملك الاحراش» اي الدب واعتبروه صاحب تلك البلاد · كما انه لم يزل الى الان هائلاً محترماً في عيون قبائل التنغوز وغيرهم من متوحشي تلك الاصقاع

وكان البعض من اولئك الاقوام يعتبرون الحيوانات ليس لمجرد خوفهم منها فقط بل وبسبب المنافع الحاصلة منها ايضاً · وهم يعتقدون انها تفهم كلامهم ولا يغرب عنها شيء من حركاتهم وسكناتهم · فتراهم لا يذكرون اسماءها الا بالتبجيل والاحترام ولا يتفوهون امامها بما يغيظها ولا يذكرونها بسوء ويجتهدون في استعطافها بسائر ضروب الضراعة والابتهال · ومما يُذكر من هذا القبيل ان بعض متوحشي

البلاد الحارّة لدى مشاهدتهم بعض التماسيح تنهلع قلوبهم خوفاً ورعباً و يبادرون للحال الى استرضائها بان يطرحوا لها الى الماء كل ما يحملون في قواربهم مظهرين لها غاية الخضوع وملتمسين منها ان لا تعمد الى اذيتهم

اما برابرة الشاطىء الشرقي من جزيرة مادا كسكر فقد اتصل احترامهم للتماسيح الى درجة انهم يلجأون اليها و يحكمونها في اكثر شوءونهم وذلك انهم يأخذون المجرم منهم الى بعض الانهار التي تكثر فيها التماسيح ثم يقف احد سحرتهم على حافة النهر ويخاطب هذه الحيوانات قائلاً : « لكِ ايتها التماسيح ان تحكمي لهذا الرجل او عليه » . وفي الغالب يظهر الرجل بلا شك مجرماً (حسب تفسير الساحر) فيطرحونه في النهر ولا يلبث المسكين ان تهجم عليه التماسيح وتمزقه ارباً اربا . . .

واحترام الحيوانات نراه شائعاً عند بعض الامم المتمدنة ايضاً . فان بعض الصيادين وارباب الحرف من سكان الجهات الشمالية من روسيا يعتقدون ان الدبة تفهم كلام الناس . واذا وقع احد منهم بين مخالب دب منها فيأخذ للحال باستعطافه بارق الاسماء واعذب الالفاظ ليتخلى عنه وهو يعده بعدم عودته الى صيد الدبة . . وكثيرون منهم يحلفون « برأس الدب » معتقدين بان هذا الحيوان « حاضر في كل مكان وعليم بكل شيء » وانه يعاقب الكذاب

والمخاتل بالقتل . واذا قتل الدب واحداً منهم يقولون انه لو لم يكن حانثاً بقسمه لما اغتاظ منه الدب وارداه . وفي بلاد نروج يقول بعض الصيادين ان الدب الذي يهجم عَلَى الناس ويؤديهم «ليس دباً مسيحياً»

٢

ومما لا مشاحة فيه ان الانسان في العصور الغابرة كان يعتبر الحيوان ذا عقل وحكمة وانه يفوقه فهماً وادراكاً . فالهنود مثلاً اعتبروا الحية الرعادة اعلى جميع الكائنات واعتبروا الفرس والكلب مساويين للانسان

ولما ظهر الحمار في افريقيا الجنوبية الشرقية اتخذه الاهلون صديقاً حميماً لهم وكانوا يتألبون حوله للاستشارة والاستفادة ويفسرون كل حركة يبديها بمعنى مقصود

وفي بورنو يعتقدون ان الناس كانوا في سالف الازمان يفهمون لغة الحيوانات ولكنهم — لسوء الحظ — ما لبثوا ان نسوها وفقدوا بسبب ذلك الانتفاع بنصائح الحيوانات ومواهبها العقلية ومزاياها الفريدة

وعَلَى هذه الصورة نشأت الديانات السابقة والعبادات القديمة وصار الناس يؤلهون الوحوش والطيور والقوى الطبيعة والغابات ويقسمون كل ذلك الى الهة صالحة وآلهة شريرة . ثم صاروا

يعتقدون ان في كل وحش وفي كل طير الهاً خاصاً . ولا يزال هذا النوع شائعاً الى هذه الايام بين اكثر المتوحشين والبرابرة. وهم يذهبون الى ان هذا الاله او الروح يرى ويسمع ويعمل في القرب والبعد على السوآء . وان قدرته ابدية لا زوال لها بموت الحيوان . وهذا النوع من العبادة يُعتبر أرفع منزلة من النوع الاول اي عبادة الحيوان لا الروح الحالة فيه . ومن هذا النوع ايضاً عبادة الالهة او الارواح الموجودة في الاشياء الغير المتحركة وهي المسماة اصناماً

رأيت مما مرَّ ان الالهة نوعان صالحة وشريرة . وكان الناس منذ القدَم يعتقدون ان الروح الصالح يحلُّ في الحيوان النافع المفيد والروح الشرير يحلّ في الوحش الضاري المفترس . وكانوا يخافون الالهة الشريرة ويحبون الصالحة الوديعة ويقدمون لها ضحايا ولا يأكلون لحومها في الغالب

غير ان بعض الاقوام يخالفون هذه العادة فالاينيون يعتبرون الدب الهاً عظيماً ويقدمون له اكراماً خاصاً ويعيدون له اياماً معلومة بتمام الاحتفال . ومع هذا فهم يقتلون ما يحتاجون اليه من الدببة ويأكلون لحومها . ودفعاً لما يتوهمونه من غوائل المصائب التي تدهمهم عقاباً لعملهم يسجدون للدب المقتول في اثناء سلخ جلده ويبتهلون الى الروح الحالّ فيه ان يصفح لهم ولا يعذبهم .

– وهكذا يفعل ايضاً التنغوزيون والاوستياكيون واهالي كامبوجا وغيرهم من الامم المتوحشة

وبعض طوائف الزنوج في افريقيا الغربية يعتبرون الحيات آلهة متجسمة وكل قرية من قراهم لا تخلو من مئات منها . وهم يقدمون لها اعظم مظاهر الاحترام والعبادة ولا يطيقون سماع ما يحط بشأنها . واذا اتفق ان سمعوا من السياح او المسافرين شيئاً من ذلك فانهم يسدُّون آذانهم ويهربون والاَّ فتغتاظ الحيات منهم وتذيقهم من العذاب الواناً .. ولهذه الحيات ثعبان هائل يسمونه « ملك الحيات » ومحل اقامته تحت شجرة باسقة مزينة بكل انواع التحف والطرف اللائقة بشأنه وهم يقدمون له ضحايا مختلفة من الحيوانات والطيور وغيرها

والياقوتيون يعبدون الجاموس والدب والوعل . وغيرهم من سكان بعض جزائر المحيط الباسيفيكي يؤلهون البلشون (من طيور الماء) والصرد وغيرهما من الطيور ويعتبرون تغريدها بشارة الهية او انذاراً سماوياً . وسكان جهات الطونغ يقدسون كلاب البحر والحيتان ولا يقتلونها . وفي جزائر فيجي يؤلهون الصقور الدجاج ولا يأكلون لحومها وفي جزيرة صاموى لكل واحد من السكان اله خاص من الحيوانات يحرصون عليها ويعاملونها بالحسنى والاجلال وهم يزعمون ان كل من اساء الى واحد منها يدخل في جسمه ويذيقه

اشد" الاهوال مدى الحياة

ولا ريب ان بعض الاقدمين قد ألهوا الانسان ايضاً ولا سيما من كان مخالفاً لهم باللون والهيئة كما جرى ذلك لبعض السياح البيض مثل السائح كوك · ولكنهم لما علموا انه انسان مثلهم وليس الهاً قتلوه · وعلى هذه الصورة نرى انهم ألهوا الوحوش والطيور ايضاً لانها لا تماثلهم بالاعمال والحركات

ثم ان كثيراً من الاقوام المتوحشة يرتبطون مع الحيوان برابطة الاسم والنسبة · فزنوج اميركا الشمالية وبعض طوائف الهنود يسمون افرادهم باسماء الحيوانات كالدب والجاموس والذئب والسلحفاة والايل والصقر والنسر وغيرها · وهذه الاسماء يتناقلها الخلف عن السلف وترتبط بها تقاليد واقاصيص مختلفة بحيث يزعم ابناء كل قبيلة منهم انهم متسلسلون من الحيوان الذي يحملون اسمه · وبعض قبائل جزيرة مداكاسكر يعتقدون ان اجدادهم كانوا قروداً وغيرهم غير ذلك مما لا يقع تحت حصر

غيرة النساء

كانت مدام باكولارد قد اعتادت قبل النوم ان تقرأ على مسامع زوجها وهو جالس الى جانبها روايات مؤثرة تضطرب لها

جزعاً وخصوصاً عندما تقرأ عن تحمس النساء المضطهدات فكانت تلعن الخائن وتعجب بمهارة الشحنة في استكشاف الخفايا وتتأثر لحالة النساء المخدوعات وصار من دأبها ان تمثل كل يوم دوراً من هذه الادوار لزوجها قبل مناولة طعام الصباح وتجتهد ان تبرهن له ان لا الذ من التخيلات الوهمية التي تجري دموع القارئ تأثراً على حالة المرأة العفيفة الفاضلة كما تصفها الروايات . وكان زوجها الموسيو باكولارد يحتمل كل ذلك بغاية اللطف والبشاشة الى ان عيل صبره فخطر له ذات ليلة ان ينتقم من زوجته انتقاماً لطيفاً عساها تكف عن تمثيل امثال هذه الادوار المملة . فلما شرعت امرأته تسرد عليه بعض الحوادث المؤثرة تناوم واظهر تشنجاً عصبياً واخذ ينفح ويتنهد ويتمتم كلمات مبهمة وهو يضطرب ويرتعش كأن حادثاً في اشد الخطورة قد جرى له . ومازال في مثل ذلك الاضطراب والهياج الى ان استلفت انظار زوجته . فذعرت والقت الكتاب من يدها وشخصت في زوجها وهي في اشد حالات الاستغراب والذهول . فلما لحظ الموسيو باكولارد ذلك ازداد اضطراباً واحتداماً وهو يظهر انه يقاتل عدواً شديداً ثم افلت من شفتيه هذه الكلمات «لا يمكن ذلك ابداً» ثم تنهد تنهداً عميقاً ومال الى جنبه الآخر

وما كادت زوجته ترى تنهده وتسمع كلماته حتى امتقع لونها وايقنت ان لزوجها سراً عميقاً وانه قد يكون عاشقاً . فقلقت

واضطربت ولم تلبث ان اكبرت الامر وايقنت بخيانة زوجها ووطنت النفس على اكتشاف سره والوقوف على ما يكنه صدره من الغوامض .
وكانت قد سمعت من بعض صويحباتها وذويها انه اذا خوطب النائم وكان المخاطِب منتصباً امامه محدقاً فيه بنظره الحاد يقدر ان يسبر غوره ويعلم ما يخالج صدره . فعزمت ان تستعمل هذه الواسطة لعلها تتوفق الى الوقوف على شيء مما تاقت اليه نفسها . فانحنت فوقه وهي تحاذر ان توقظه وجعلت تساله بصوت رخيم قائلة : اجل قد اصبتَ . ان ذلك لا يمكن ابداً وهذا عين الصواب يا عزيزي ! ان ذلك لا يمكن ... وما هو ذلك الذي لا يمكن ؟ قل لي يا حبيبي ولا تخفِ عني شيئاً

اما الموسيو باكولارد (المتظاهر بالنوم) فكاد يفشي سره بضحكة عالية غير انه ملك نفسه ولم يتحرك . وواصلت زوجته كلامها بقولها : لا ريب عندي بحسن ثقتك بامرأتك . أليس كذلك ؟ وانت لا تريد ان تخفي عنها شيئاً لانها تنبئك بكل شيء من دقائق حياتها واحوالها .. هي لا تخفي عنك امراً لانها تحبك وكذلك انت لا يجب ان تخفي عنها شيئاً . قل لي يا عزيزي . قل لي

قالت ذلك وانتظرت قليلاً وهي تعلل نفسها ان تسمع من زوجها شيئاً . فلما خاب املها من التجربة الاولى جعلت صوتها ارق من الاول مخافة ان توقظه وقد اعتقدت بانه خائن لعهودها فقالت :

ارى ان في نفسك احزاناً كثيرة تريد ان تنفرد بها ولا تفضي بها الى زوجتك حتى لا تحزنها . كل ذلك حسن ولا بأس منه . غير اني افضل ان اعرف كل شيء ، لاتمكن من مساعدتك وتعزيتك . انت تقول ان هذا لا يمكن . فهل تعني بذلك وفرة الديون التي يترتب عليك وفاؤها ؟ ام يخيفك اجل الدفع ؟ لكن لا . ان اشغالك سائرة علَى قدم النجاح ولا ريب عندي باننا سنربح ارباحاً جديدة في آخر السنة . فلا لزوم ان تفتكر بذلك . ولكن ما هذا الذي لا يمكن ؟ قل لي يا عزيزي . تكلم ولا تخفِ عني امرك

ولبث الموسيو باكولا رد صامتاً . غير انه كان يتنهد تنهداً غريباً زاد في قلق زوجته فغيرت موضوع حديثها السابق وقالت : آه يا عزيزي ما أصوب رأيك . نعم لا ريب في ما تقول ان ذلك لا يمكن . وهذا رأيي ايضاً — ان ذلك لا يمكن ابداً . ان امرأتك المحبوبة تشاركك في افكارك . فأعد هذه الجملة اللطيفة علَى مسامعي !

ثم سكتت وهي ترجو ان تسمع منه شيئاً . ولما خاب ظنها القت يدها بلطف علَى جبهة زوجها واخذت تنظر اليه نظرات مخيفة ولم تلبث ان رأت علَى شفتيه ابتسامة لطيفة ففرحت وقالت : ها انك قد اصبحت في قبضتي ووجبت عليك طاعتي فيجب ان تتكلم . ان قوتي الكهربائية اقوى من قوتك . وانا آمرك ان تعترف لي بكل

ما يجول في صدرك . فما هو هذا الذي لا يمكن ؟

ولما انتظرت قليلاً ولم تستفد شيئاً ظهر القلق الشديد في وجهها وزفرت زفرة حارة وقالت : ارى ان لك سراً عظيماً تخشى كشفه لانه غير ممكن . وقد صرتُ الآن مرتابة في امرك .. انك تنام كل ليلة براحة ولم تحلم احلاماً مخيفة ولم تكن مضطرباً ولا هائجاً ولا قلقاً . قد فهمتُ الآن . ان الامر متعلق بامرأة وانك لا تستطيع ان تجاريها في ما تطلبه منك . ولعلها امرأة فاجرة تريد ان تهجر لاجلها زوجتك المحبوبة التي هي موضوع سعادتك وهنائك . لا اظن انك تفعل ذلك . وهذا معنى جوابك لها ان ذلك لا يمكن ابداً . انك سليم القلب صافي السريرة ولا يمكنك ان تكون شريراً وتعكر صفاء حياتي . اليس الامر كذلك ؟ قل لي يا عزيزي

ثم تصوَّرت نفسها متروكة مهجورة تعسة بسبب امرأة غريبة خبيثة سافلة . فكادت تزهق روحها وتفقد رشدها ولكنها استتلت قائلةً : فانت اذاً لستَ سعيداً معي يا صاحبي المسكين . نعم ان ايامنا الماضية قد كانت كلها سروراً وهناءً ولكن الآن ...

وهنا سكتت مدام باكولارد لانها سمعت زوجها يتمتم كلمات غير مفهومة . ولما لم تعد تسمع شيئاً قالت : وارى ان ننظر الآن الى المستقبل ... ان الرجل يحب و يعشق ولا يرى عند معشوقته الا كل ما تصبو اليه النفس من المسارّ والملاذ ولكنه متى صحا من

سكرته ورأى نفسه صفر اليدين يندم كثيراً ولكن بعد فوات الوقت ٠٠ ان المرأة الغريبة لا يهمها اذا بددت اموالك او خسرت حياتك او نومت اولادك على القش والتبن ٠٠ نعم ليس لنا الان اولاد ولكننا لا نحرمهم على ما اظن ٠ وعليه فلا يمكننا ان نتركهم اشقياء تعساء يعيشون من فضلات المحسنين ٠٠ انت اجل وارفع من ان تسوق عيالك الى مثل هذا الموقف الحرج

ولما وصلت الى هذا سمعت دمدمة اخرى من زوجها ولكنها لم تفهم شيئاً فقالت : اراك تصادق عَلَى كلامي ٠ فارفض اذاً تلك المرأة الساقطة وعد الى عشك وعدني الان انك تكون رجلاً شريفاً وزوجاً اميناً ٠٠ اتريد ان تكون اميناً لزوجتك ؟ اتريد ان تترك تلك المرأة الملعونة ؟ قل لي يا عزيزي اما هذا قصدك ؟

ولما انتظرت قليلاً ولم يجبها زوجها بشيء احتدمت غيظاً ونظرت الى سكين من خشب كانت موضوعة عَلَى مائدة بقربها وربما خطر في بالها ان تتناولها وتطعن بها زوجها الخائن ٠ غير ان رقة عواطفها حالت دون ذلك ٠ فهزته بعنف وصاحت به بصوت ملوءه اليأس : هلاّ تقول لي ما هذا الذي لا يمكن ؟

فقهقه الموسيو باكولارد وقال — ان هذا الامر الذي لا يمكن

هو ان يحلم الانسان وهو يقظان · قولي لي يا عزيزتي هل يمكن ذلك ؟؟؟

(عن الفرنساوية) حنا زهيا المرصلي

الصحافة في اليابان

حالما يطأ الاوروبي ارض اليابان وهو لم يزل بعد في القطار يندهش لوفرة الجرائد والنشرات اليومية التي تملأ مركبات القطار ولا يكاد يرى واحداً من الركاب الاَّ وبين يديه شيء منها وكلهم من الشيخ الى الغلام ومن المرأة الطاعنة في السن الى الفتاة منشغلون بالمطالعة

وحالما ينزل هذا الاوروبي من القطار يرى امامه باعة الجرائد بكثرة غريبة · وكيفما سار في الاسواق والشوارع يسمع اجراسهم تقرع واصواتهم تنادي · والناس على اختلاف درجاتهم يبتاعون ما شاءوا من تلك الجرائد ويقرأُون بلذة فائقة · ولا يُستثنى من ذلك الحمالون والحوذية والغلمان والخدمة

هذه البلاد التي ظلت دهراً طويلاً مستعبدة مقيدة والتي كان ابناؤها في احطّ درجات الهوان والخمول لا يجسرون ان يتلفظوا بكلام الحرية او تهجس ضمائرهم بمعناها — كيف انقلبت

فيها الحال بغتةً وارتقت هذا الارتقاء السريع المدهش الذي يجب ان تتخذه كل امة منحطة مثالاً للاقتداء

وقبل ان استيقظت امة اليابان بخمسة او ستة قرون ظهرت في بلاد الصين اول جريدة · ومرّت تلك الادهار واليابان راقدة ليس فيها الا جريدة شفاهية وهي عبارة عن جماعة من المنادين كانوا يطوفون في اوقات معينة في شوارع المدن بطبولهم واطمارهم ويقصون على الشعب باعلى الاصوات بعض الحوادث الجارية وعلى الخصوص فيما يتعلق بالسرقات والقتل والحريق ووقائع الغرام وغير ذلك · وكان السامعون يجودون عليهم بدريهمات قليلة · ثم صدرت نشرة صغيرة بسيطة كان اسمها « ايومي اوري » اي « الدلاّل » فكان المنادون يحملونها ويقرأونها على الناس · وبهذا الاسم صدرت بعد ذلك جريدة في طوكيو هي اليوم من اكبر جرائد عاصمة اليابان

واول جريدة حقيقية صدرت في بلاد اليابان اسمها « كاجي كيفانتشين » صدرت سنة ١٨٥٤ وكانت في اول عهدها تطبع سراً في غونغ كونغ وترسل الى يوكوهاما تهريباً

ثم في سنة ١٨٦٧ حدثت في بلاد اليابان ثورة وانقلاب عمومي ان صرفا الافكار عن الاهتمام بالجرائد · وفي سنة ١٨٧١ انشأ احد الامراء المدعو كيدو جريدة حرّة تهذيبية نبهت الاذهان

واماطت عن الحقائق ما كان يغشاها من ظلمات الاوهام وهـذه الجريدة تُعتبر اساس النهضة اليابانية

وجرت الاصلاحات بعد ذلك وتقدمت تقدمـاً باهراً وشعرت الامة بالحاجة الماسة الى الاهتمام بامر الجرائد وتوسيع نطاقها فعقدت الشركات وارصدت الاموال لذلك وتأسست اول جريدة على الزي الاوروبي باسم «جريدة الاخبار الجديدة» . ومن ذلك الحين صارت الجرائد تمو وتنتشر ويزداد الاقبال عليها . ومنها الان في مدينة طوكيو وحدها نحو ثلاثين جريدة يومية كبيرة وفي البلاد كلها نحو اربعمئة . واذا احصيت جميع الجرائد والمجلات في تلك البلاد تراها اكثر من الفين تطبع سنوياً اكثر من مئة مليون نسخة

كل هذا النجاح جرى في ثلاثين عاماً فقط !

واهمّ جرائد اليابان في هذه الايام جريدة «جيجي شمبو» اي «الحوادث الجارية» وهي تصدر في العاصمة . ومن الجرائد المشهورة فيها «التيمس اليابانية» تصدر باللغة الانكليزية و يحررها كتاب يابانيون فقط

لا مشاحة في ان الامة اليابانية قد استفادت من الطباعة فوائد لا تحصى وهي وان ظهرت هناك منذ اربعين سنة فقط غير ان هذه الامة النشيطة قد عرفت كيف تستفيد منها . ولا ينكر ان حرية

الطباعة كانت مقيدة ومخنوقة في اول امرها شأنها في بلادنا قبل الدستور ... غير انها لم تلبث ان كسرت تلك القيود والاغلال وخدمت البلاد خدمة شريفة خطيرة جداً

ان رجال الصحافة في بلاد اليابان عرفوا كيف ينهضون بامتهم تلك النهضة العجيبة ويقتادونها في الوجهة التي هي طريق سعادتها وفلاحها

ومما لا يختلف في صحته ان الامة اليابانية كانت علَى جانب عظيم من الخرافات والاضاليل والانحطاط الادبي وكان مباحاً للآباء ان يبيعوا بناتهم وكانت تربية النساء بالغة منتهى الفساد الى غير ذلك من العاهات والاسقام التي مصيرها الدمار لا محالة . فرأى ارباب الصحافة ان تهذيب اخلاق الامة واصلاح آدابها ومحاربة المفاسد الفاشية بينها اهم ما يجب ان يشتغلوا به . وما مضى عليهم ردح من الزمن حتى صلحت الاحوال وارتقت المدارك وبلغ اليابانيون بفضل هؤلاء القادة هذا المبلغ العظيم . ولم يمض بعد ذلك الا زمن يسير حتى أُعطيت الحقوق المدنية لجميع افراد الشعب وارتقى كثيرون من ادنى طبقات الشعب الى اعلى الوظائف وصار بعضهم وزراء وهم من اولاد العامة ...

وليس في بلاد اليابان الان من قيد تقيد به الصحافة الا شرط واحد وهو « ان لا تُهان جلالة الميكادو واسرته وان لا

يقدح احد في الاعراض ويوقظ الفتنة او شغباً عمومياً »

والجرائد في بلاد اليابان رخيصة الثمن جداً فان النسخة الواحدة تُباع بعشر بارات وباقل من ذلك ايضاً . ولعل ذلك ناتج عن رخص اجرة العملة والمحررين . فان اشهر محرّر في جميع بلاد اليابان وفي ادارة اشهر جرائدها يأخذ راتباً في الشهر نحو ٥٠٠ فرنك . والاجرة الاعتيادية التي يتناولها المحررون نحو ١٥٠ فرنكاً . اما اجرة مرتبي الحروف فتختلف بين فرنك ونصف وفرنكين في النهار

واكثر الجرائد انتشاراً تطبع يومياً اكثر من مئة الف نسخة وبعض اعداد منها تكون في بعض الايام في عشرين وثلاثين صفحة كبيرة . حتى ان جريدة « جيجي شمبو » اعتادت ان تطبع عدد رأس السنة في ٤٨ صفحة . وجريدة « نيتشي نيتشي » اليومية صدرت في يوم عيد يوبيلها بمئة وثماني وعشرين صفحة كبيرة !

والحاصل ان الجرائد في بلاد اليابان كانت اعظم العوامل في تقدمها ورقيّها كما انها كانت ولا تزال اعظم عوامل الارتقاء في كل مصر فعسى ان يكون من ذلك لارباب الصحافة في الشرق مرشد ودليل الى رفع شأن الوطن والتعاون على الاصلاح العام وهذا افيد بكثير من المناظرات العقيمة والانتقادات الفارغة التي تسوّد بها بعض الجرائد صحائفها على غير طائل والله الهادي الى السبيل السوآء

السائلة الحسناء

في سنة ١٨٢٤ انشىء في مدينة ستوتغارد عاصمة ورتمبرج معرض للصور الحديثة والقديمة · وكان يُرى بينها صورة بديعة نقشتها يد احد حذّاق المصوِّرين وهي تمثل فتاة هيفاء بقد ممشوق وطلعة فتانة وعينين نجلاوين بحيث كانت بهذه المحاسن النادرة قبلة الخواطر وكعبة النواظر · واتفق ان ولي عهد البرتغال جاء الى هذه المدينة زائراً · وكان هناك سفير للبرتغال يقال له الدون بدرو وذو كهل في سن الاربعين من عمره وقد وخط الشيب راسه · فلما علم بمجيء ولي العهد خف لاستقباله وسار في خدمته الى حيث اراد وقد زار بمعيته معرض الصور المذكور · وبينا كان يجول به من غرفة الى غرفة اجتذبت ابصاره تلك الصورة فوقف امامها منذهلاً مبهوتاً وقد نسي موقفه وان ولي العهد ينتظره في الرواق الخارجي فسأل مدير المعرض عن مصدر تلك الصورة فاجابه بانها قد تكون لاحد مصوري العهد الغابر · فقال الدون بدرو — كلا بل هي حديثة العهد واني اعرف صاحبتها حق المعرفة فدهش كل من سمع هذا الكلام من مصوِّري المعرض وتبادلوا النظرات فيما بينهم وخرج الدون من ذلك المحل وهو مشرّد الافكار تائه العقل · وصار من ذلك الحين يتردد كل يوم على المعرض ليشاهد

هذه الصورة

وفي احد الايام وقد جاء على عادته ليمتع بصره من الصورة ابصر هناك شاباً في عنفوان الشباب ومنتهى الجمال راكعاً امام الصورة كانه في هيكل عبادته وكانت دموعه تترقرق من مآقيه . فبهت ووقف ينظر اليه و يتعجب من امره والشاب شاخص في الصورة لا يكاد يرفع نظره منها او يشعر بوجود آخر سواه فتركه الدون وعاد الى منزله وقد شغلته خواطر شتى . ولما حضر في اليوم التالي رأى الشاب كما رآه بالامس فازداد حيرةً ودنا منه وتلطف معه بالسؤال عن نفسه وعن علاقته بالصورة فعرف ان اسمه ادورد فون برابن وانه يهوى صاحبة هذه الصورة وانه لاجلها يجوب البلاد باحثاً مفتشاً لانها حياته ونعيمه . فقال له الدون ان صاحبة هذا الرسم امرأة في سن الاربعين ومن الغريب ان يهوى فتى نظيرك امرأة مسنة . قال — كلا فهي حديثة السن .. حقاً هي بعينها وهذه الاعين الحوراء والانف الاذلف والخدود الاسيلة شهود ناطقة بانها هي

ما للنوى ذنبٌ ومن اهوى معي ان غاب عن انسان عيني فهو في ..

فلما سمع السفير كلامه شعر بميل اليه وقد وجد فيه شريكاً له في المصائب . لان الاشتراك في الاحزان اقرب الى الصحبة وادعى الى الصداقة والولاء . ولما كان المساء دعا السفير صديقه الجديد

الى منزله وبعد ان جلسا ردحاً من الزمن يتحادثان قال السفير : لا ريب انه يهمك يا عزيزي ان تقف عَلَى سبب علاقتي بصاحبة الصورة ولما كان ذلك مما يفيدك الاطلاع عليه و يفيدني ان اسمع بعد ذلك حديثك بهذا الخصوص فاسمع : اني وُلدتُ من ابوين عريقين في النسب ولم يكن لهما ولد سواي فربياني التربية التي تليق بالاشراف نظيري . ولما بلغت سن الرشاد ارسلني والدي الى عمي و كان وقتئذ رئيس اركان حرب في فلورانسا فدخلت في الخدمة ولم البث ان بلغت باجتهادي ونشاطي رتبة قبطان . وكان عمي مقترناً بارملة ذات ثروة طائلة وجمال نادر ولها من زوجها الاول ابنة تسمى لورا لا يسعني ان اصف لك جمالها وانما اقول ان فؤادي الحجري (كما كان يسميني اقراني) قد ذاب امام لواحظها الفتانة فأحببتها حباً يقرب من العبادة وكان لي صديق سويسري الاصل يقال له تنسي وهو برتبة ملازم في نفس الفرقة التي كنتُ فيها . غير ان الحب اذا لم يكن متبادلاً يشبه ضباب الصباح عَلَى رؤوس الجبال فلما تعلو شمس النهار تلاشيه حالاً . هكذا جرى لي مع لورا . فقد احببتها ولكنها احبت سواي واحبتني محبة شقيق لا محبة عشيق وفي احد الايام وردتني رسالة مكتومة يقول فيها كاتبها « احذر من ابنة عمك فانها تختلف الى احد البيوت المنفردة حيث تلتقي ببعض الشبان » ولما وقفت علي هذه الكلمات حتى اسودّت الدنيا

في عيني وخلت ان السماء تصب عليّ نار انتقامها . فجعلت اترقب لورا حتى اذا خرجت الى حيث اشار الكاتب تبعتها على الاثر ولم البث ان رأيتها قد ولجت بيتاً منفرداً فوقفت اتجسس تلك الناحية وقد استعرت نار الغيرة في صدري . ولما احتجبت شمس النهار وبدت جيوش الظلام شاهدت شبحاً مقنعاً يقترب من البيت ولما صار قريباً مني فاجأته بصوت جهوري اوقفه مكانه وقلت له — اذا كان لحضورك يا هذا علاقة بالآنسة لورا فاغرب من هنا والاّ .. اما هو فقال — ومن ذا الذي يتجاسر ان يقول للملازم تتننسي مثل هذا الكلام ؟ فقلت والشرر يتطاير من عيني — انا صديقك الحميم وعدوك الاشدّ ولا اظنك تحجم عن مبارزتي . فاجاب بعد ان عرفني — لك هذا . ثم اننا اتفقنا على الساعة والمكان ورجع كلٌ منا الى قراره وهو ينتظر الموعد المضروب . وخرجت ايضاً لورا من ذلك البيت وسارت الى جانبي وهي لا تفوه ببنت شفة وانا لا افاتحها بشيء . ولما وصلتُ المنزل دخلت الى مخدعي وبتُّ على فراش احرّ من الجمر وقد تمثلت لديّ مصائب هذه الحياة . وفي الصباح جاءتني خادمة لورا وبيدها رسالة فاخذتها منها وقرأت فيها ما يأتي : « اذا سألتني يا بدرو عن حبي لك فهو عظيم ولكنه حب شقيقة لشقيق . اما قلبي فهو ملك سواك الان وقد ارتبطت بحبه ارتباطاً لا تستطيع اقوى القوى الطبيعية ان تحله .. ومنذ

اسبوعين اصبح تتنسي زوجي الشرعي امام شهود حضروا حفلة اكليلنا . وقد دعوته بالامس لاشكو اليه امري وافرّ واياه الى حيث تطيب لنا الاقامة . وحينما تبلغك هذه الرسالة اكون قد تركت اسبانيا فلا تحاول اللحاق بي بل ارحم ضعفي واصفح عن اساءتي وكن لامي معزياً ودم لمن تجل شخصك وتحبك

شقيقتك لورا تتنسي»

فلما وقفت علَى فحوى هذه الرسالة وعلمت الحقيقة شعرتُ ان الارض تدور بي فصممت النية ان انسى ما مرَّ بي وان لاار كن لحب النساء فيما بعد . ثم قمت فارتديت ثيابي وانطلقت الى المكان المعين للمبارزة حيث الفيت خصمي ينتظرني وكان الحقد وحب الانتقام يلوح علَى وجهي ؟ فتضاربنا بالسيوف ثم بالخناجر . وكان تتنسي اشد قوة مني فانقضَّ عليّ وضربني على يدي اليمنى ضربة اطارت سلاحي فايقنت انه قاتلي لا محالة . غير انه رمى سلاحه جانباً وركع امامي طالباً ان اعفو عنه كما عفا هو عن حياتي . ولم نلبث بعد هذه المروءة التي بدت منه ان تصالحنا وتصافحنا ونسينا كل حقد . اما لورا فكانت قد فرّت كما كتبت لي ولم يلبث زوجها ان لحق بها ولم اعد اقف لهما بعد ذلك على اثر

هذه قصتي سردتها لك على امل ان تطلعني انت ايضاً علَى حديثك لعلي اقف منه علَى ما اروم الاطلاع عليه من تاريخ حياة

لورا وبما اني مضطرٌ الان الى مقابلة ولي العهد فلنؤجل الحديث الى الغد.

فشكره ادورد وخرج · وفي ثاني الايام وردته رسالة من صديقه السفير يخبره فيها بان اوامر في غاية الاهمية تضطرهُ الى مبارحة ستوتغارد الى اجل غير معروف وربما طالت غيبته ولكنه سينتهز فرصة اخرى للاجتماع به وسماع حديثه · وبعد سفره شعر ادورد بوحشة عظيمة فامتطى جواده وخرج من ستوتغارد وجعل ينتقل من بلد الى آخر وهو يبحث عن محبوبته · واتفق في اثناء تنقله انه دخل مدينة ميذس وكان له فيها صديق مخلص اسمه البارون فلندر وهو عَلَى جانب عظيم من خشونة الطباع والقساوة فنزل عنده · وكان البارون يحب ادورد ويميل الى معاشرته مع ان بين الاثنين تبايناً عظيماً في الاخلاق والصفات · فلما رآه قام اليه فعانقه ودخل به الى ردهة الجلوس وهما يتحادثان ويتذاكران · وانهما لكذلك اذ اقبلت عليهما فتاة بديعة المحاسن فحيت الضيف ودعته مع البارون لمناولة طعام الظهر · ثم عادت من حيث اتت وقام الاثنان فخرجا في اثرها · وكان ان ادورد لما ابصر هذه المخلوقة بهت وخفق قلبه شديداً فسأل صديقه عنها فقال — انها زوجتي · فازداد ادورد حيرةً وقال — اعهدك عزباً لا تميل الى النساء فكيف تزوجت الان وحصلت عَلَى هذه الدرة اليتيمة ? قال — هو ما تقول ايها

الصديق فانا اكره جنس النسآء ولا ازال اكرهه ولكنني تزوجت لاجد من يقوم بتدبير شؤون بيتي وخدمتي . وقد رأيت هذه الفتاة اتفاقاً عند احد معارفي فاعجبتني بحشمتها وادبها وملت الى الاقتران بها لا حباً بها بل حباً بمنفعتي الخاصة وقد علمتُ انها عريقة في الحسب غير ان الدهر اخنى على ذويها فمات ابوها في احدى الحروب الدموية وتوفيت امها منذ سنتين في فرنسا فاصبحت لطيمةً لا نصير لها ولا من تعتمد عليه وكانت امها قبل وفاتها قد سألتني ان آخذ ابنتها خادمةً لي . اما انا فلم البث ان اقترنت بها ولست اعلم عن اصلها شيئاً سوى ان اسمها جوزفين دي تننسي

وكان ادورد مصغياً للحديث بتمام الانتباه فلما فرغ صديقه قال — تقول انها من اسرة تننسي فما اسم امها ؟ قال — لستُ اعلم

وكان الاثنان قد وصلا الى غرفة الطعام فجلسا الى المائدة وادورد حاضر الجسم غائب العقل وكان يناجي نفسه بقوله « انها تشبهها تمام الشبه . . فلعلها هي هي السائلة الحسناء التي لاجلها اجوب البلاد واتعرض لسائر المخاطر . . ولا اظنها الاَّ ابنة لورا عشيقة صديقي الدون بدرو . . . »

ولما فرغوا من الاكل نهض ادورد فشكر البارون وزوجته ودخل غرفة أعدت له في ذلك المنزل واطلق العنان لافكاره وتأملاته وهو تارة يجزم بان جوزفين هي هي حبيبته . فيتألم نفسه وينصدع

قلبه وخصوصاً لانها اصبحت زوجة رجل فظ الاخلاق مشهور بالقساوة وسوء المعاملة ... وطوراً ينفي ذلك من افكاره

ولما كان المساء اجتمع ادورد بالبارون وقص عليه حديث الدون بدرو وعلاقته بوالدة جوزفين . ففرح البارون لهذا الخبر واستبشر بالحصول على غنى وافر وطلب من ادورد ان يستعلم عن اقامة السفير وينبئهُ بالامر

وبعد العشاء تفرق الجميع كلٌ الى غرفته وادورد يزداد حيرةً وارتباكاً ولا يعلم كيف يجزم في امر جوزفين او كيف يفاتحها الحديث ليسألها عن نفسها ويجعل حداً لهذه الذكرى الاليمة . ولما كان الصباح سمع قرعاً لطيفاً على بابه فقام وفتحه واذا به يرى امامه جوزفين فخفق قلبه وتلعثم لسانه ولم يعلم ماذا يقول . اما هي فحيته واعتذرت اليه لغياب زوجها في هذا النهار لانه ذهب لتفقد بعض اشغاله البعيدة ثم دعته لمناولة طعام الصباح . فشكرها ادورد وتبعها صامتاً معجباً برقتها وعذوبة كلامها . ولما جلسا الى المائدة سألها ان تقص عليه كيف تقضي الوقت وحدها في مدة غياب البارون فقالت — ان زوجي ذو اشغال كثيرة وهو يقوم بها كلها دون ان يعتمد على احد سواه وقد عوّدني هذه العادة ولذا تراني قائمة بجميع اعمال البيت وليس عندنا احد من الخدم وقد ظهر لي ذلك في بادىء

الامر شاقاً جداً غير اني الفته الان ولم اعد استصعبه · قال —اظن انك ابنة القائد الباسل تتنسي الشهير · قالت — نعم وقد مات والدي تاركاً اياي وحدي في معترك هذه الحياة · قال واظن ان اسم والدتك لورا وهي من اسرة اسبانية عريقة في الحسب · فاحمرّت وجنتا جوزفين وارتعشت شفتاها غير انها تمالكت نفسها وقالت — نعم ان اسم امي لورا غير انها المانية وليست اسبانية · قال — واين هي الان ؟ قالت — قد ماتت ايضاً وانا لم ازل في اول نضارة الحياة وليس لي احد اعتمد عليه او يؤاسيني في احزاني وشقائي والخلاصة ان سفر حياتي لم يكتب فيه الا التعس والشقاء

فتأثر ادورد لكلامها واخبرها بان لها عماً غنياً عظيم الجاه اسمه الدون بدرو وانه سيهمه شأنها ويعتني بها اذا بلغه امرها · قالت— لا اظن ذلك يفيدني كثيراً الان وقد دفنت آمالي منذ زمان واغلق في وجهي باب السعادة الى الابد

فتأكد ادورد ان جوزفين شقية تعسة مع زوجها البارون ووطن النفس ان يكون لها خير معزٍ ومؤنس وقد بقي مرتاباً في امرها ولا يعلم كيف يفاتحها الحديث ليعلم الحقيقة

*

كان البارون فلندر مولعاً بارزاقه ومقتنياته ولم يكن يهتم بسوى ذلك وقد اشترى مؤخراً من انكلترا آلة بخارية واستدعى

ميكانيكياً حاذقاً لاجل تركيبها · ولما تم العمل عَلَى غاية ما يُرام اقام البارون مأدبة شائقة دعا اليها الاصدقاء وكان ادورد في جملة الحضور · وكان المدعوون قد تعرّفوا بادورد ومالوا اليه لدماثة اخلاقه ورقة حديثه ولكنهم استغربوا وجومه الدائم وحزنه الشديد الذي كانت اماراته لا تفارق وجهه وقد سألوه مراراً ان يكشف لهم عن سبب حزنه وطلب ايضاً منه ذلك صديقه البارون والحّت عليه جوزفين فلم يرَ بدّاً من الكلام وخصوصاً لانه اراد ان يتحقق هل جوزفين هي حبيبته التي يبحث عنها وقد طاف لاجلها كل مكان؟ فتناول كاساً من الشراب وجرع جرعة كبيرة ثم اخذ يقص على الحضور الحديث التالي قال — لعلك تذكر يا حضرة البارون سياحتنا الاخيرة في فرنسا واني بينا كنت واياك سائرين عَلَى جسر دي ازار في احدى ليالي تشرين الثاني الباردة استلفتت ابصارنا فتاة ممشوقة القد كانت واقفة تستعطي عَلَى قارعة الطريق وقد اسدلت عَلَى وجهها نقاباً اخضر وكنت اعلم ان الذين يقفون عَلَى هذا الجسر للاستعطاء هم عَلَى الغالب من ابناء الاشراف والاغنياء الذين يميل عليهم الدهر فيحرمهم كل باب للارتزاق · فتأثرت لحالة هذه الفتاة ومددت يدي الى جيبي لاقدم لها شيئاً من النقود فزجرتني انت بالالمانية وشتمت تلك المسكينة وابتعدت عن المكان اما انا فتقدمت اليها ودفعت لها ما تيسر · وسألتها عن حالها فقالت ان

امها مريضة وليس لديها شيء تقتات به فسألتها ان تميط القناع عن وجهها فأبت قائلة مالك وللنظر الى وجه بائسة نظيري · فسألتها ان تسير معي الى احد المطاعم لكي اقدم لها شيئاً تقتات به: فابت ايضاً واعتذرت ووعدتني ان تراني في مثل هذا الوقت عَلَى طرف الجسر المذكور · ثم سارت في سبيلها وانا اشيعها بنظري وقلبي لانها اثرت بي تأثيراً عظيماً وادهشتني بحشمتها وادبها · وفي ثاني الايام لم ارَ نفسي الا وقد صرتُ عَلَى الجسر المذكور مدفوعاً بقوة كهربائية لمشاهدة هذه الفتاة وقد رأيت ان شفقتي عليها قد انقلبت الى حب صحيح وتعلق شديد دون ان ارى وجهها او اعلم شيئاً من امرها ولكنني شعرتُ من نغمتها انها قد أُولعت بي وان حبي قد ملأ قلبها· وصرت من ذلك الحين اقابلها واظهر لها مساعدتي فكانت تقبلها شاكرة ولكنها لم تكشف لي عن وجهها او تخبرني شيئاً عن اسمها او اسرتها ولم يكن ذلك الا ليزيدني رغبة في ذلك· وفي احد الايام اخبرتها باني مضطر بُد الى مبارحة باريس وساغيب عنها ثلاثة اشهر والتمست منها بالحاح ان تريني وجهها · فازاحت عنه القناع واذا امامي فتاة كالبدر طلعة وبقيت بضع دقائق وانا شاخص اليها معجب بهذا الجمال الباهر وبالرغم عن امتلاكي لنفسي طوقتُ خصرها بذراعي وقبلتها بكل ما في نفسي من قوة الحب ثم اخرجت من جيبي خاتماً ثميناً وقدمته لها قائلا ارجو ان

تقبلي هذا تذكاراً لاجتماعنا وشاهـداً علَى دوام ولائنا . فأخذته وقالت — ولعله خاتم مودتنـا فالوداع الى الابد . ثم ودعتني ، فقفزت كالظبي النافر ولم اعد اراها . . و بعد ثلاثة اشهر عدت الى باريس وسألت كثيراً عن هذه الحسناء وقد طفت لاجلها بلاد فرنسا والمانيا فلم احظ بها فكان كلامها كأنه القضاء المبرم علَى هنائي الى الابد . . .

وما قال ادورد هذا الكلام حتى شهقت جوزفين ووقعت مغشياً عليها . فبادر اليها الحضور وعالجوها بالمنبهات والمنعشات ثم اخذوها الى سريرها وقد نسبوا كل ذلك الى رقة شعورها وتأثرها

ولما كان ادورد بعد يومين جالساً في حديقة المنزل يطالع بعض الروايات في ظل احدى الاشجار سقط الكتاب من يده ووقع في سبات عميق . فحلم انه يرى حبيبته تعانقه وقد همست في اذنه هذه العبارة « الى الابد » رآها في نفس تلك الثياب التي رآها بها في باريس فقام لساعته مذعوراً

وفي اليوم التالي اخذ كتابه وجلس في ظل الشجرة يقرأ كالامس فغرق في نوم ثقيل وقد حلم ايضاً ان فتاة تقدمت اليه والقت في يده ورقة مطوية مكتوباً عليها « الى الابد » ولما استيقظ وجد ورقة موضوعة في يده وعليها الكلمات المذكورة . . وفي اليوم الثالث رأى في يده منديلاً وقد نقشت عليه هـذه الكلمات

« سائلة جسر دي ازار » فدهش وكاد يفقد عقله وقد جزم بان حبيبته قريبة منه جداً وقد تكون جوزفين بنفسها · ولما كان اليوم الرابع تناوم تحت الشجرة واذا به يشعر بدنو خطى تسير نحوه ثم شعر بشخص يقبله ففتح عينيه واذا به يرى امامه جوزفين نفسها · فارتعش واضطرب وصاح بها — اذهبي عني فالوداع الى الابد · نعم ابتعدي عني فلا يجوز لي ان المسك لانك مدام فلندر الان · · · واما انا فلم يبقَ لي الاَّ ان اموت حسرةً الى الابد

فتنهدت جوزفين وجاست بازائه واخذت تخفف عنه وتلطف من بلواه وتقول له انها لم تقترن بهذا الوحش الاَّ مضطرةً لانها بعد ان فقدت والدتها سدت في طريقها وسائل التعيُّش فاضطرت الى الخدمة في منازل بعض الاشراف في المانيا وهناك بصر بها البارون واقترن بها

فعذرها ادورد وقام اليها فعانقها وهو يبكي وينتحب . وفي هذه اللحظة جاء البارون فلندر واذ شاهد جوزفين وادورد يتعانقان هاج الدم في راسه فدنا منهما وهو يفور من الغضب وقال لامرأته — اغربي من هذا المنزل ايتها الخائنة وحسبي ان لطخت شرفي باقتراني بسائلة فقيرة فلا اريد ان الطخ يدي بدمك · ثم قال لادورد — وانت ايها المداهن الغبي اخرج من بيتي ولا ترني وجهك بعد الان · ولم يحتمل ادورد هذه الاهانة فكاد بدعو فلندر

الى البراز ولكنه خشي ان يكون ذلك سبب تنغيص لعيشة جوزفين فكظم غيظه وخرج

وفي اليوم التالي كان ادورد وجوزفين قد خرجا الى حيث طابت لهما الاقامة وقضيا باقي حياتهما بالرغد والهناء، وقد علم الدون بدرو بحوادثهما فهنأهما بهذا اللقاء وكان يزورهما في اكثر الاحيان ويعجب للمشابهة التامة بين جوزفين ولورا

(عن الالمانية) جبران مطر



﴿ الى اساتذة المدارس ﴾

عثرت في اثناء المطالعة عَلَى كتاب جميل في اللغة الانكليزية وُضع للاحداث في مبادىء العلوم والجغرافية تمنيت لو وُضع مثله لاحداثنا في اللغة العربية لتقويتهم في جغرافية بلادهم وافهامهم مبادىء العلوم الطبيعية ونحوها باسلوب يروق لهم فما يدرون الأ وقد وصلوا الى درجة حسنة من التثقف وقوة الاستنتاج وهاءنذا انقل لقرآء مجلة النفائس بعض فصوله بقليل من التصرف راجياً من اساتذة مدارسنا الابتدائية ان يخصصوا بضع ساعات في الاسبوع لمثل هذا الاسلوب اللطيف وان يجروا على مثاله في تدريس اكثر العلوم. وسيرون فيه نجاحاً عظيماً ان شاء الله

١ — الاجسام ذات مسام

قال وديع وقد وضع مصباحاً على منضدة امامه : اتريد يا شارل ان تعلم كيف تشتعل هذه الشمعة ؟ فقال شارل : نعم فتفضل واشرح لي كل ما تعرفه عن ذلك . قال — انت تعلم ان الشمعة مؤلفة من الشحم وهو من الجوامد التي تذوب بالحرارة القليلة وما تراه حول اسفل الفتيلة من الدهن السائل هو الذي يشتعل وينير عند رأسها . فقال شارل — ولكن كيف يصعد هذا السائل الى رأس الفتيلة ؟ فقال وديع — انظر . ثم اخذ قنينة ذات عنق ضيق وملأها الى نصفها بالتربنتين (وهو مادة مشتعلة) وغمس فيها قضيباً من الخيزران ثم بعد دقيقة اشعل عوداً من الثقاب ووضعه في رأسه القضيب . فسأل شارل مندهشاً — كيف انفجر هذا اللهيب حالاً ؟ فاجاب وديع — ألم ترَ تلك الثقوب الصغيرة في طرف القضيب ؟ فهذه المسام تمتص التربنتين وتوصله الى الطرف الآخر وهكذا تمتص الفتيلة الدهن السائل . وعلى هذه الطريقة يشتعل زيت المصابيح . فان القسم الادنى فقط من الفتيلة مغموس في الزيت فتمتصه مسامه وتجذبه الى الطرف الآخر . ثم اخذ قطعة من فتيلة وبلها بالماء ووضع طرفها الواحد في كأس ماء وترك الآخر خارجه . فاخذ الماء يقطر منه حالاً . ثم قال — أرايت كيف جرى الماء بواسطة مسام الفتيلة ؟ هذا وان

مواد كثيرة غير هذه تنفعنا لما فيها من المسام كالمناشف والفلانلا والاسفنج وورق النشاف الذي لا يصلح للكتابة لان الحبر ينتشر فيه حالاً . والورق كله يكون اولاً كورق النشاف فيغطس في مادة غروية ليعود صالحاً للكتابة . واما الاحذية فاذا صُنعت من مواد مسامية فتضرّ الاقدام بما تنقله اليها من الرطوبة

٣ — المصافي

قال وديع : كثيراً ما رأينا استاذنا يصبُّ السوائل فوق ورق النشاف ولم يكن يخطر لنا انه يصنع مصفاةً . فقد اقتطع امامنا من الورق النشاف قطعة مستديرة بواسطة البركار ثم طواها طيتين بحيث تألفت منها زاوية قائمة وفتحها فتكوّن منها قمع وضعه في قمع من زجاج مثبت فوق وعاء نظيف . ثم مزج قليلاً من الماء والطباشير وصبّ المزيج في هذه المصفاة فاخذ الماء الخالص يقطر منه شيئاً فشيئاً . وبقيت الذرات الطباشيرية في القمع وهكذا كان ورق النشاف مصفاة جيدة

ولكن ما انت صانع اذا حدثتك عن اعظم مصفاة في هذا الكون — وهي الارض نفسها . فان المطر الذي يغمر سطحها بعد ان يتبخر قسم منه تمتصه الارض بواسطة مسامها ولكنه يعود فينبجس من جهة اخرى نقياً من الشوائب وذلك بمروره على الحصى والرمل وما اشبه . ومن السهل ان نصنع من بعض المواد مصفاة قليلة الكلفة

فنأتي بوعاء فخاري مثقوب في اسفله ونسد هذا الثقب بقطعة من الاسفنج ثم نضع فوقها طبقة من دقيق الفحم وفوق هذه طبقة اخرى من الحصى الصغيرة والرمل ثم يُصبّ الماء فيمر بين دقائق هذه المواد طارحاً عنه الغريبة فيقطر نقياً خالصاً

٣ – منافع الصلصال

قال وديع : اتذكر يا شارل حديثنا الماضي عن الصلصال ؟

قال — نعم اذكر منه ان الصلصال في حال الرطوبة يكون ليناً ولا يمتص الماء لامتلاء مسامه وفي حال الجفاف يكون قصماً سريع الانكسار ويمتص الماء بسهولة لوفرة ما فيه من المسامّ . فقال وديع اصبتَ وقد اعلمنا الاستاذ اليوم ان من الصلصال تصنع الصحون والفناجين وجميع الادوات الخزفية . وذلك ان يؤخذ الصلصال اللّين ويصب في قوالب ثم يطبخ في اتون مرتفع درجة الحرارة فيصبح قصماً قاسياً كما تراه . ولكننا لو اخذنا قطعة من هذه الادوات الخزفية وقطعة اخرى من الصلصال المجفف على حرارة الشمس ووضعناهما في الماء فهذه تعود الى ليونتها وتلك لا تتغير عما هي عليه ولذلك يصنعون منها الاباريق وقرميد السطوح والآجرّ . واما الصيني فيصنع من الصلصال النقي بخلاف القرميد فهو يصنع من الغليظ الخشن ممزوجاً بقليل من الرماد . وبعد ان يتم ضغطه بقوالب خشبية بشكل القرميدة يجفف في الشمس ثم يضعونه كوماً

حولها نار متقدة مدة اسبوعين . ولما كانت الاواني الخزفية بعد شيها في الاتون تبقى خشنة الملمس غير صالحة للاستعمال فتغطس في مزيج من الملح والبورق ثم تعاد الى الاتون صقيلة فيذوب الملح ويملأ المسام وتخرج الادوات كما نراها الان

٤ — المواد المحلولة

قال حبيب لابنيه شارل ووديع — سأحدثكما اليوم بامرين غريبين فضما كتبكما جانباً وانظرا اليّ : هذه الكأس طافحة بالماء وانتما تعلمان ان الملح والسكر والكلس وما اشبه تذوب في الماء فانها تتفرّق الى ذرات صغيرة لا نعود نرى بين دقائقه وهذا ما نعنيه بقولنا ذوبان . ثم اخذ سبع ملاعق صغيرة من الملح ووضعها واحدة بعد الاخرى في الكاس ووديع يحرّك الماء بلطف . ثم وجه انظارهما الى ما رسب في اسفل الكاس من الملح وان الكاس مع ذلك لم يطفح منها الماء الى الخارج . وسبب ذلك ان ذرات الملح انتشرت بين دقائق الماء فهي ملأت الفراغ الكائن بينها ولم تبقِ لغيرها محلاً

ثم اخذ كاساً اخرى وملأها ماء ووضع فيه سبع ملاعق صغيرة من الكلس فرسب اكثره في اسفلها ثم لما صفا الماء صبه في مصفاة من ورق النشاف فقطر نقياً . فاستدعى انتباه ولديه وقال لهما — ماذا يحدث لو تنفست علَى سطح الماء المختلط بالكلس ؟ فاجاباه — انه يبيضُّ كالحليب بامتزاجه مع غاز الحامض الكربونيك . فتنفس عليه

فايض " كما قالا وحينئذٍ قال لهما — فالمآء اذن كما رأيتم يذوب فيه الملح كثيراً والكلس قليلاً · والمواد على نسب مختلفة في قبولها للانحلال فيه · ولكننا لو اذبنا السكر والصمغ والصودا في ماء حار لكان ذوبانها اسرع منه في المآء البارد · بخلاف الملح فالمآء البارد والحار لتذويبه سيان

عبيد بن الابرص

ليلة مريعة

صعدتُ ورفاقي الى غرف النوم بعد صلاة المسآء · وكانت الليلة هادئة باردة وقد كست الثلوج أرضها ثوباً ابيض فبانت كأنها صفيحة من الفضة يرسل عليها البدر اشعته البيضآء فيزيدها نوراً وبهاءً وهو سائر الهوينا في القبة الزرقآء تيهاً واختيالاً فيختفي تارة خلف الغيوم الصغيرة تاركاً الارض عابسة لفراقه وطوراً يبدو فيبدد عنها غيوم الكدر · وكانت نوافذ الغرف مفتوحة تدخل منها اشعة البدر الفضية فتبدد الظلمة ويرتاح اليها قلب القلق · ولحسن حظي كان سريري بجانب احدى النوافذ فاستلقيت عليه وشخصت الى البدر وجعلت امتع طرفي بمشهد أعلى من ان يصفه لسان او يشرحه قلم · ثم حوّلتُ وجهي الى جاري وقلت

له —انظر بالله يايوحنا الى البدر انه اشبه بوجه الانسان منه بالجماد انظر فان له عينين وانفاً وفماً وكل دلائل الوجه· فقال—آه ياعزيزي جورج لو تعلم مقدار الغم الذي يستولي عَلى قلبي عندما انظر الى القمر فيضيق صدري اذ ذاك وأشعر بدوار في رأسي مع انه منظر يرتاح اليه الجميع· فقلت له— ما اغرب اطوارك ايها الرفيق فكيف تكره الليلة المقمرة حين لاظلام يوحش القلوب ولا عبوسة في الجلد تورث القلق· وحريٌّ بالمرء في مثل هذه الليالي البهية ان ينسى كل ما به من الكدر و ينشرح صدراً· فكان جوابه عَلى كلامي انهُ غطى وجههُ بالدثار هرباً من مرأى البدر وتمتم قائلاً — اما انا فيستولي علي اشدّ الغم والاضطراب ولا اعلم سبباً لذلك· فسكتُّ والقيت رأسي عَلى الوسادة وغرقت في نوم عميق

و بعد مضي ساعتين من الزمن ارقت من نومي فاجلت طرفي في ارجاء تلك الغرفة الكبيرة فلم ارَ الاّ الاسرة كأنها قبور والنائمين عليها كأنهم اموات فعرتني الوحشة وجعلت التمس النوم وانا لا ازداد الاّ ارقاً وسهاداً فادرت وجهي الى سرير يوحنا و بغتةً جحظت عيناي وجمد الدم في عروقي فاني رأيت شبحاً ابيض قد انتصب عَلى السرير ثم تحوّل بوجهه الى البدر ومدّ اليه ذراعيه وانا اخالها طول السرير من شدة الخوف وكانت عيناه مطبقتين وتنفسه طبيعياً· فتأملته واذا هو جاري يوحنا فهلع فؤادي وكانت تلك الساعة من اشأم

واصعب ساعات حياتي فاردت ان اصيح مستغيثاً فلم اقوَ لان شفتيَّ خانتاني، وشعرت كأنَّ حجراً في حنجرتي فلبثت كما كنت وانا كالمأخوذ احاذر ان لا يسمع صوت تنفسي .. واني لكذلك واذا يوحنا يتقدم اليَّ بكل تأنٍّ وهو سابح في الهواء لا تكاد رجلاه تلمسان الارض . ولم يكن الاَّ القليل حتى وقف على طرف سريري وجعل يمشي عليه . فاستحليت الموت اذ ذاك واخذ دمي في البرودة وقد قنطتُ من الخلاص من هذا الخيال الرهيب وبقي يوحنا يسير على السرير وهو يطأ على جسمي وعلى رأسي وانا لا اشعر بثقله البتة . ثم انتقل الى سرير جاري سمعان ومنه الى النافذة الاخرى وجعل تارةً يمد يديه الى البدر وطوراً يجيلهما في الفضاء كأنه يلتمس شيئاً وبقي يسير من سرير الى آخر وهو كلما وصل الى نافذة يمد يديه نحو البدر كأن في البدر مغناطيساً يجذبه اليه . ولما اتى على كل الاسرة قفل راجعاً فظننتُ انه سيعود اليَّ فاستعظمت الامر وقلت في نفسي «وماذا يحلّ بي اذا علم اني مستيقظ» واذ ذاك خطر في بالي فكر انعش ما بقي فيَّ من القوة فزحفت من سريري الى الارض بكل هدوء وحذر واضطجعت تحت سرير سمعان في محل مظلم والتففتُ بالدثار وجعلت اترقب الصبح وانا على نار احرّ نار الجحيم ابردها

*

اقبل الصباح وبدَّد عن قلبي غيوم الخوف فشعرت كأنَّ

جبلاً طرح عن كاهلي . الاَّ اني لبثت بياض نهاري كئيباً حزيناً لا اقوى عَلَى الدرس ولا الاكل وكنت اجتهد جداً ان لا ألتقي بيوحنا . ولما اقبل المساء شعرت بأني أُقاد الى دينونة رهيبة فجلست منفرداً افكر في ذلك الامر وقد خطر لي ان استأذن الرئيس ليسمح لي بالنوم عَلَى بعض الاسرة الفارغة غير ان ذلك لا يفيدني ايضاً لان يوحنا يسير عَلَى جميعها وربما علم بفراري فيغضب علي وربما انتقم مني شر انتقام . لانَّ للجائل في النوم قوة عقلية غريبة وانه قد يعرف ما يضمره غيره فلزمت الصمت وصممت ان انام على سريري الاول ولو ذقت الموت الاحمر واجتهدت ان اشجع نفسي ولا استسلم لتيار الخوف والجبن واذا كان يوحنا في الحقيقة مصاباً بداء الجولان الليلي فيجب ان انبئ الطبيب بامره وهو اولى بمعالجته

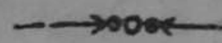
*

اقبل الليل ورقد كلٌّ في فراشه فذهبت انا ايضاً واستلقيت عَلَى سريري وجعلت اختلس النظر الى يوحنا واردت ان اكلمه فلم اجسر وقد خيل لي انه عالم بما يجول في افكاري ولذلك فهو يتوعدني بعذاب اليم في اعماق الليل . وما خامرني هذا الفكر حتى خارت قواي وعاودني الفزع واخذت عوامل القلق تتقاذفني فلبثت انتظر ذلك الموقف الرهيب . . ثم اجلت نظري في رفاقي فرأيتهم وقد غرقوا في سبات النوم وتركوني وحدي فريسة المخاوف فالتفتُّ

الى جاري سمعان وقلت له بصوت خافت — انائم انت يا سمعان ؟ فلم يكن من مجيب . و بينا انا اناجي افكاري طرق اذني صوت يوحنا يهذي فاجفلت كالظبي وقد اصابه سهم الصياد واخذ قلبي في الخفوق الشديد وقد خيل لي اذ يوحنا يهزأ بي و بعواطفي المتهيجة وزادني سكون الليل وغطيط الاولاد وحشةً فعزمتُ ان انام تحت سرير سمعان هرباً من يوحنا لاني خشيت ان ينقضَّ عليَّ ليلاً ويقتلني وهناك الطامة الكبرى اذ لا مغيث ولا مساعد وليس لي ان انجو منه لان قوته وقتئذٍ تكون هائلة خارقة . ولم البث بعد ان تصورت ذلك ان ارتديت ثيابي وابقيت السرير عَلَى حاله بدثاره ووسادته ثم اختلست نفسي واضطجعت تحت سرير سمعان وجعلت اراقب ما يجري فمضى وقت طويل والسكينة سائدة على المكان فأَغمضت عيني مقدار خمس دقائق ثم نظرت الى سريري فرأيت يوحنا واقفاً عليه مغمض العينين وقد امسك الوسادة وجعل يخنقها وهو يصرف باسنانه وعَلَى وجهه ابتسامة شيطانية زادت خوفي اضعافاً ثم اخذ الزبد يخرج من فمه وهو يتمتم كلاماً لم افهم منه شيئاً . فاوجست خيفةً من ذلك المنظر واخذ العرق البارد يتصبب من جبيني . ولم يكن الاَّ القليل حتى سمعت يوحنا يقول بصوت اجش كأنه خارج من اعماق الارض : ها انك قد وقعت في يدي فلن تنجو . ثم زاد هيجاناً وشدةً وكان الزبد يتطاير من فمه وصريف

اسنانه يشتد والوسادة بين يديه وهو يعركها بكل قواه ويظن انه يخنق عدواً له ثم رأيته قد جاس عليها كمن يجلس على خصمه ضاغطاً على فمه ليمنعه من التنفس . وبينا انا في هذه الحالة من الهلع والدهشة رأيته قد سقط وارتطم وجهه بحديد السرير وسمع لذلك صوت شديد وعقبه هدوء تام . . وبقي يوحنا على تلك الحالة مدة وانا في اشد حالات الانذهال والخوف . ولما مضى على ذلك وقت طويل ويوحنا لم يزل على حاله نهضتُ اليه وقد نسيتُ خوفي ونظرت في وجهه فاذا هو جثة بلا حراك . . .

(عن الروسية) لطف الله خوري صراف



اشعار منثورة

هو الانسان له في دهره دمعات وابتسامات . فمن هذه الدمعات ما يلتذُّ به فلا يرى لنفسه راحة بسوى تسكابها . ومن تلك الابتسامات ما لا تنفتح له الشفتان الاَّ للافراج عن قلب مفعم بالحزن واليأس . وهي وان تكن قاسية مؤلمة الاَّ انها كمبضع الطبيب ليس للانسان عنها غنىً

ولي — كما لسائر البشر — دمعات وابتسامات . وكنت اودُّ ان اكتب ما يترجم عن شعوري في تلك الدقائق فلم يتسنَّ

لي ذلك الآ منذ برهة من الزمن . فكنت عندما افرغ من دروس الطب العويصة ابقى مكباً على مائدة الدرس غير مكترث لصوت النوم والراحة

جلست وامامي رفيقي بالسمر — ذلك المصباح — يحترق ليضيء علي ويساعدني في حل عويص المسائل أنظر الى سماء الغرفة وأتنفس الصعداء فيتبادر الى ذهني ما كنت قد شعرت به في يومي من فرح او ترح فامسك القلم بيمناي وألقي جبهتي باليسرى واجري القلم على صفحة القرطاس ليترجم عن شعوري وعواطفي

في مثل تلك الاوقات اي في اواخر السهرات تقطرت هذه الاشعار المنثورة

ومثل الكاتب في فاتحة كتاباته كمثل الحسناء في اول حللها فهي تود ان تكون هذه الحلل عبيراً ينشرح له صدر الرائي . هكذا انا ايضاً ارغب في ان تكون هذه المستقطرات القلمية اريجاً يعطر مشام القراء

وهذه الاشعار المنثورة افكار جديدة وطلية تولدت في مخيلتي . وهي ذات قيمة عندي لانها تصور دمعاتي وابتساماتي . بل هي مقدسة لانها تترجم عن احساساتي وآرائي . فهي بذلك شعر بالرغم عن اعتراضات الذين لا يرون الشعر الا بالوزن والقوافي

— الحياة —

لمَ هذا الشقاء ؟ .. خروج قبل بزوغ الفجر ورجوع عند الغسق . اجتهاد ونزاع وجدال .. لمَ كل هذا ؟ الكسرة خبز تغتذيها هذه المعدة التي لا تشبع ؟

قشعريرة في الزوبعة . تبلل تحت وابل المطر . افتراش الغبراء . ارتجاف عند المخاوف . جمود عند الخطوب .. لمَ كل هذا ؟ الاجل ترفيه الغير وإسعاده ؟

حياة في بطون الارض . استنشاق الهواء سماً ناقعاً . قضاء العمر بين الرطوبة والعفن . الاحتجاب حتى عن نور الشمس . عيشة بشر كالافاعي .. لمَ كل هذا ؟ الاجل التملص من الموت ؟

ركوب الاهوال . اغتراب غارب البحار . افناء الليل والنهار بعمل الحسابات وتنظيم القوائم .. لمَ كل هذا ؟ الاجل اكساء هذا الجسد الفاني ؟

احياء الليالي بالدرس والمطالعة . اذابة الادمغة بحل ما يشكل من الغوامض والمسائل . السعي تحت قارس البرد لاجل الدرس والمسابقة . بناء الامال وتخيل السعادة . استرضاء الخود الكعاب .. لمَ كل هذا ؟ الاجل الاقتران وايلاد فلذات الاكباد ليشقوا كما شقينا ؟

ما هي تلك القوة التي توقف الجاني الاثيم عن الانتحار ليرضى

بعذاب الحبوس ومرارة الوقوف تحت المشنقة

ما هي تلك القوة التي ترجع الجندي الشجاع عن بلوغ قمة النصر ونيل شرف الاستشهاد في سبيل الوطن والتي كثيراً ما تكون سبباً لنكوصه عن حومة الوغى راضياً بذل الهزيمة والفشل

ما هي تلك القوة التي لا يأتي الانسان حركة الا مدفوعاً بها

ما هو هذا السرّ الذي يستوجب كل ذلك؟ هي الحياة . هي منازعة العدم . هي حب البقاء والوجود . .

— صريع السل —

كان يعيد النظر المرة تلو الاخرى الى بزته الرسمية . وكان فؤاده مملوءا بشعور الفخر والعظمة . وكان بريق تلك الحلل الحريرية مما يدل على تلك الليالي التي احياها مكباً على مائدة الدرس على ضوء السراج

وكان شحوب وجنتيه مما ينبىء بانه لم يصغ لنصائح الاطباء القائلين لا تجتهد فان قلبك ليس قوياً

اخيراً اتى دور السعادة التي طالما انتظرها بشوق وقد زينت شفتيه ابتسامة الغبطة المصحوبة بكلمة الافتخار (اني طبيب)

انمحى ذلك الضيق المادي الذي قضاه في صغره ونال ابواه ما استحقاه من المكافأة

غير ان هذا (الطبيب الحاذق) والشاب الجميل لم يكن

ليفتكر الاّ بسعادة الاقتران بمن هو يها قلبه . وكانت هي قداشترطت عليه ان لا تهبه يدها الاّ بعد صيرورته طبيباً . فلم يبقَ الان الا ان يحصل عَلَى اعظم آماله . .

بعد اسبوع تلقى خبراً ألقى ستاراً من اليأس على تلك الاعين التي كانت مشتعلة بلهيب الامل . واستولت على قلبه مرارة الحزن وتشرّدت افكاره ايما تشرد في تلك المخيلة التي لم تكن لتتصور ان الحبيب يقبل الاقتران بغيره فالقى جسده المتعب عَلَى مقعد وحاول البكاء فلم يستطع اليه سبيلاً . اراد ان يصرخ ويستغيث ولكن حشرجة الصوت خنقته فاطبق عينيه والقى برأسه بين يديه وتصور ليالي شبابه ومساعيه فرآها تسبقه الى العلاء فانقطع نياط قلبه وتمشى في صدره مشية الوحش النافر

بعد قليل من الايام كان الفتى ملقىً على سريره وقد ذبلت عيناه ولم يبقَ له مطمع في الحياة الاّ دقائق قليلة كان ينتظر ان تنتهي ليخلص من هذه الآلام المبرّحة وكانت الغيوم السوداء تنتشر بكثرة في الجو فتزيد المنظر رهبةً وقسوةً

انتصب الفتى عَلَى سريره وودّع العالم بنظراته الاخيرة من النافذة ثم رجع القهقرى وقد اكتسبت وجنتاه رقة من النسيم وبدا عَلَى رؤوس اجفانه آخر ما بقي من الدموع في مآقيه . . غير انه جهد نفسه فاستوقف تلك الدمعات والقى برأسه عَلَى المخدة وقد

انفتحت شفتاه الغائرتان عن ابتسامة مرة :
وكانت حشرجته الاخيرة اشبه شيء بالقهقهة عند ما فاضت روحه ...

في تلك الاثناء انقشعت بعض الغيوم وارسلت ذكاء اشعتها الى البسيطة فابتسمت الجبال وغنت الاطيار وسمع خرير الانهار

طنوس قعوار (دمشق)

الولد المرتجف

لاتضربوا امامي بالابواق ولاتعزفوا عَلَى آلات الطرب لان اذنيَّ قد كرهتا الاصوات الموسيقية الكاذبة وألفت اصوات الرياح الزوابع التي تنفخ بشدة كانها تنبئ بحلول يوم الدين العظيم

لا تذكروا امامي عبارات الرحمة والتعزية ، اللطف والحنان ، كلمة الشفقة ،لان الشفقة قد ذهبت من بين الناس وحل محلها العنف والشدة ، القسوة والصرامة ، موت الضمير ، فوا اسفاه ؟

الانسانية تنظر من بعيد الى الانسان ولكنها لا تقترب منه . ترى جروحه وقروحه ، تسمع انينه وزفرات قلبه ، ولكنها لاتمسه بيدها لئلا تتنجس . الانسان يخاف الانسان كما يخشى الوحش

المفترس. يرى اخاه يتوجع ويتلوّى فيبتسم لآلامه ويفرح لتوجعه. يرى قريبه منحدراً في اودية التعس والبلاء فيدفعه الى الامام تخلصاً من شكواه وتذمره. فمتي يا ترى يثق الواحد باخيه متى تتلامس ارواح البشر، متى يهدم ذلك الجسر الفاصل بين الانسان والانسان؟ متى يكون الناس اخوة بالفعل؟

*

احب البكاء ولكن لا اجد دموعاً في عينيّ. احب التنهد ولكن لا تخرج الانات من صميم فؤادي. احب الشفقة ولكن لا اجدها. احب الانسانية فاين هي الانسانية. هوذا قد حلّ صوت الرياح محل الغناء والموسيقى. وصرير اسنان الفقراء المرتجفة بـدل الانغام الشجية. الخطباء يصيحون من علَى المنابر «الانسانية الانسانية» ولكن اصواتهم لا تجاوز جدران الغرف التي يخطبون فيها. الشعراء يذيبون عيونهم سهراً وهم ينظمون الابيات المؤثرة في مساعدة الفقراء والبائسين ولكن كلامهم لا يخرج عن الورقة التي يسودونها.. والكتبة يذيبون ادمغتهم في استنباط كل ما يحمل علَى الشفقة والحنان خدمة لاولئك المحتاجين فلا يجدون من يقرأون اقوالهم واولئك الذين يقرأونها يضحكون من كاتبها

*

رأيت ولداً يرتجف من شدة البرد على قارعة الطريق فقلت

في نفسي ترى ماذا يكون تأثير هذا المنظر في قلوب الناس؟ . رأيتهم يمرون فينظرون الى ارتجافه ولكنهم لا يلتفتون اليه كأن عيونهم قد اعتادت مناظر مثل هذه . الناس اعتادوا ان يروا الناس اشقياء و بؤساء . العالم اعتاد ان يرى الفقر يتلاعب بهذه الانسانية الضعيفة . الشعب اعتادت عينه الذل والمسكنة والفقر والحاجة فهو لا يتأثر من البكاء ولا يفزع من النحيب ... ولد لا يتجاوز الرابعة من عمره لفظته الطبيعة الى هذا الوجود فلم يصادف امامه غير البلاء والألم . هو لم يذنب الى هذه البشرية الساقطة ولم يجيء الى العالم باختياره فلماذا يا ترى اذنب اليه الوجود ؟ الولد يفرح مع الفرحين ويبكي مع الباكين فلماذا لا يفرح الناس لفرحه و يبكون لبكائه ؟

وقفتُ في زاوية حيث لا يراني احد لاشاهد منه المارّة لعلي اجد من يعتني بهذا الضعيف البائس . رأيت عربة تركض في الشوارع الضيقة تصدم هذا وتصطدم بذاك من دون ان يهمها امر احد . رأيت فيها رجلاً غنياً يطرح الناس عليه السلام من الجانبين وهو لا يكاد ينظر اليهم زهواً وعجباً . رأى الصبي يرتجف والدموع تسيل من عينيه فلم يلتفت اليه فيا للعجب !

رأيت مركبة اخرى تقل شيخاً جليلاً غنياً . هي ايضاً مرت ولم تلتفت اليه : رأيت الناس يمرون وكان البعض يلتفت اليه والاخر لا يلتفت . رايت بعض السيدات يمررن من هناك فقلت في نفسي

ان قلوب السيدات ممتلئة من الرحمة والحنان وهي اشد تأثراً من الرجال فلا بد ان يساعدن هذا اللقيط . ولكن وااسفاه ان الرحمة قد ذهبت حتى من قلوب السيدات ! هنَّ ايضاً لم يساعدنه بشيء

مرَّ من هنالك رجل فقير ولكن حالما نظر الولد يبكي ويرتجف تغيرت ملامحه فشاهدت التأسف والحزن على وجهه . هو فقير مثله ولكن طبيعة الفقر علمته ان يكون حنوناً ورحيماً . . ربما كان لا يملك غير غذاء يومه ولكن الاعتقاد الصحيح علمه ان لا يهتم بامور الغد . في مثل هذا الوقت رأيت ان الفقر لا يكون حاجزاً بين الانسان وواجباته . . . مد الرجل يده الى جيبه فاخرج منها ما تيسر له واعطى لذاك الفقير البائس

ابتسم الولد وذهب في طريقه فرحاً

بولس شحاده

الشرق والغرب

لا يخفى على البصير ما وصل اليه الغربيون من النجاح والتقدم في عالم الحضارة والتفنن في العلوم والصنائع والاختراعات والاكتشافات الغربية . وكأن الشمس جعلت مغربها مشرقها فاشرقت على تلك البلاد واضاءتها باشعة الحياة والنور فقام ابناؤها وقد تدرعوا

بالاجتهاد والثبات وتغلبوا عَلَى خمول الطبيعة بجدهم وَكدهم وغاصوا في بحار الاكتشافات وتسابقوا في ميادين الاختراعات فظفروا بكل امنية وانارو العالم بنور معارفهم ووسعوا نطاق تجارتهم و كسبوا الاموال الطائلة فعززوا بها بلادهم ورتعوا في بحبوحة من العيش وتمتعوا بملء الحرية وتمكنوا من التغلب على مصاعب الحياة ومتاعبها وتخفيف ويلاتها ورزاياها

اما الشرق فقد خبت اضواؤه وافلت شمسه وعمت اهله ظلمات الجهل والانحطاط فاندحروا وتقهقروا وقد نضب معين علومهم وصنائعهم وفنونهم وما زالوا يسيرون في دياجي الجهل حتى استأسرهم الخمول واستعبدهم الانحطاط . وما سبب كل ذلك الأ تقاعدهم عن العمل وعدم رغبتهم في العلوم والمعارف

والكل يعلم ان ما أُوتيه الشرقي من الفطنة والذكاء واتقاد القريحة وما طبع عليه من دماثة الاخلاق وسلامة السريرة يخوله الرقيّ في درجات العمران لو اضاف الى ذلك انشغافاً بالعلم والعمل

واذا كان عذر الشرقيين عن تقدمهم ما كانوا يلاقونه من الخسف والجور في عهد الحكومة الماضية فما عذرهم الان وقد انقلبت الحال وتغيرت الافكار وعلموا بانه لا تقوم لهم قائمة الأَ بتعزيز العلوم والعارف والاتحاد والثبات في العمل فلا نجاح بلا علم ولا علم بلا مدارس . ولهذا يترتب علينا اولاً ان

نعمم مدارسنا الوطنية ونعمل عَلَى نشر العلوم والمعارف في جميع اطراف البلاد لانها مفتقرة الى العلم افتقار العليل الى الدواء والظمآن الى الماء · وحبذا لو انتبه ابناء البلاد ولا سيما اهل الثروة منهم الى انشاء المدارس الوطنية واقامة المعاهد العلمية اسوة ببقية الامم المتمدنة · وليس لنا من فائدة او فخر في اعتمادنا عَلَى غيرنا من اهل الاحسان والفضل من الغربيين الذين يتصدقون علينا بمدارسهم ومعاهدهم · فضلاً عما في ذلك من الحطة والهوان لانفسنا اذا كنا ممن يعقلون

وما اجهل الذين يلقون كل همهم عَلَى الحكومة غير منتظرين النجاح الا بواسطتها فتراهم لا يحركون ساكناً في اصلاح شؤونهم بل يقضون الوقت الثمين في انتقاد اعمال الحكومة والحكام · كأنهم شيء والحكومة شيء آخر وما الحكومة في الحقيقة الا صورة افراد الشعب فاذا فاقت الشعب لا تلبث ان تتقهقر اليه واذا انحطت عنه لا تلبث ان ترقى اليه ومهما تكن اخلاق الشعب وآدابه فنتائجه في حكومته

وخلاصة ما يقال في مثل هذا المقام ان طريق الاصلاح ممهد امامنا فما علينا الا ان نحسن شؤوننا الادبية والمادية وان لا نعتمد الا عَلَى انفسنا حتى يتسنى لنا ان نجاري غيرنا من الامم المتمدنة في التمدن والعلوم والصنائع والتجارة وحينذاك فقط يمكننا ان نظهر

للعالم بان الهمة الشرقية لم تمت وان العثمانيين امة حية

(لبنان) جرجي الخوري سليمان

القدوة الرديئة

فُطر الانسان علَى تقليد ما يقع تحت حواسه رديئاً كان ام حسناً فتراه منذ الصغر تحركه عواطفه علَى الاقتداء بغيره دون ان يعلم نتائج هذا الاقتداء. وهذه النتائج لا تظهر في الانسان الاَّ بعد ان يكون قد تجاوز سن الشباب فاما ان يقضي ما بقي من عمره سعيداً خالياً من الشوائب والامور المعيبة او ان يكون تعساً شقياً تمكنت فيه جميع العوائد المضرة والخلال السيئة. وما الانسان الا ابن القدوة فاذا اقتدى باولي الفضيلة حذا حذوهم واكتسب صفاتهم وآدابهم

كثيراً ما نرى شاباً لطيفاً اديباً قد تزين باكمل صفات الادب والفضيلة ولكننا لا نلبث ان نراه وقد سرى اليه فساد العشرة الرديئة بذيئاً شريراً مقامراً سكيراً.. وكل ذلك بفضل العشراء والقرناء الذين عاشرهم

وكم نرى مثل هذه النتائج المضرة بين فتيات العصر. وهذه الادواء تسري بينهنَّ بسرعة غريبة وقليل هم الذين يهتمون بمثل هذا الامر من الوالدين والمرشدين. كم فتاة تكون محتشمة اديبة

تنقلب بعد مدة وجيزة من صورة ملاك الى صورة شيطان رجيم ؟ واذا سألت اباها او اخاها قالا — بذلك قضى التمدن كأن التمدن يقضي بمثل هذه الغرائب

ومما لا مشاحة فيه ان المرء كلما قل " (راسماله) يكون ضعيفاً وكلما زاد يقوى . وهذه القاعدة تقاس ايضاً على ما نحن بصدده فاذا اعتنى الاهلون بتربية اولادهم الاعتناء المطلوب فكأنهم يقدمون لهم (راسمالاً) كبيراً يقيهم كيد عشراء السوء . واما اذا كانت التربية ضعيفة فانهم ينقادون بضعفهم لكل ريح

اوصى صفرونيوس الحكيم اولاده ان لا يعاشروا اللؤماء ابداً فطلبت منه ابنتهُ ذات يوم ان يسمح لها بالذهاب هي واخوها لزيارة فتاة اخرى معروفة بالخفة واللؤم ولما لم يجبها الى طلبها قالت له — اتظننا اطفالاً حتى تخاف علينا من معاشرة هذه الفتاة . فأخذ قطعة فحم من الموقدة وقال لها — امسكي هذه الفحمة فأبت في اول الامر ظانّة انها مشتعلة فقال لها ابوها لاتخافي فانها ليست مشتعلة فأمسكتها بيدها فتوسخت يدها منها فطرحتها فوقعت على ثيابها ووسختها . فقال لها ابوها ارأيتِ ان الفحم يوسخ اليدين ولو لم يحرقهما . وكذا عشير السوء يؤذي عشيره ولو لم يؤلمه

(حمص) عزيز يوسف شاهين

﴿ اعتذار لطيف ﴾

جاءنا من احد ادباء طرابلس الفيحاء ما يأتي :

دعت الجمعية الخيرية الطرابلسية اسعد افندي رستم الشاعر المشهور الى حضور احدى حفلاتها وكان مندوبها اليه الاستاذ حنا افندي قصاص فاجابها رستم معتذراً بالابيات التالية عن عدم اقتداره على الحضور وبعث اليها مع الاعتذار بقيمة عشر ليرات فرنساوية . وهذه هي الابيات

ايها القوم رحمةً في ملامي ... انا للامر طائع غير عاصي
انني مخلصٌ لكم ومحبٌ ... قسماً بالولاء والاخلاصِ
كان في العزم ان اكرَّ عليكم ... زاحفاً بالكلام لا بالرصاصِ
انما حال دون ما اتمنى ... مانعٌ منه ليس لي من مناص
واذا كنتم بعثتم (بقصّا ... صٍ)فاني ارسلتُ معه قصاصي
وقصاصي نقديةٌ وبها ار ... جو من النقد والملام خلاصي

فاجابه حنا افندي قصاص بلسان الجمعية

ايها الاسعد الكريمُ سلامٌ ... وتحايا تُهدى لكم باختصاصِ
وثناءٌ يفوح كالمسكِ طيباً ... رتلته عواطف الاخلاص
لك فكرٌ بسحره كلُّ لفظٍ ... طائعٌ لابن رستم غير عاصي
فقتَ نظماً على البديع وجاءوا ... كَ بها سار كلٌّ دانٍ وقاصي
طبتَ نفساً وطبتَ شعراً وجوداً ... ما لنفسٍ عن حبها من مناص

انبأتنا الابيات عنك اعتذاراً معها النقد جاء خير قصاص
فقبلناهما ويا لك حقاً من كريمٍ وشاعرٍ (مهياصِ)

﴿ المدرسة الاكليريكية البلمندية ﴾

مرّ على تأسيس هذه المدرسة نحو عشر سنوات وهي تنمو وترتقي في سلم النجاح الى ان بلغت الآن منزلة تذكر بالثناء على همم وكلائها واساتذتها ومديريها والقائمين باعبائها . وقد جرى في الشهر الماضي الامتحان الشتوي فيها فأسفر عما يسر الخاطر ويحقق الامال ووردتنا بهذا الخصوص رسالة من احد الفضلاء كنا نودّ اثباتها لولا ضيق المقام . ويؤخذ منها ان عدد طلبتها في هذا العام قد بلغ الخمسين واساتذتها خمسة فمن صميم القلب نتمنى لهذا المعهد الديني العلمي دوام الترقي والثبات ونضم صوتنا الى صوت حضرة المراسل بشكر غبطة صاحبها البطريرك الانطاكي ووكيليه سيادة مطران طرابلس وحضرة النطاسي الفاضل الدكتور اسعد بك بشير ومدير المدرسة الارشمندريتي اغناطيوس ابي الروس وجميع اساتذتها الادباء

﴿ المعرض الروسي الطواف ﴾

نهار الاحد الواقع في ١٧ و ٣٠ ك٢ وصل الى حيفا المعرض الروسي الطواف (الباخرة نقولا الثاني) حاملاً ما لا يحصى من المعروضات المختلفة وكلها من مصنوعات روسيا ومنسوجاتها وحاصلاتها

وكانت كلها معروضة بمنتهى الذوق والاتقان والابداع بما يدل دلالة صريحة عَلَى عظمة البلاد الروسية وغناها وتقدم صناعتها وبراعة صناعها · وكانت موسيقى الباخرة تعزف بالحانها المطربة بما شنف الاذان وشرح الصدور · وقد زار هذا المعرض جمهور من التجار فاعجبوا بتنظيمه واتقانه واثنوا عَلَى لطف ربانه الخواجا مولتشانوف ومديره العمومي الامير اماتوني وسكرتيره الخواجا فيليب خوري · ومما علمناه من سعادة الربان ان المعرض قد استقبل في اكثر الموانى الشرقية بغاية الترحاب والبهجة وزاره من الاستانة وحدها اكثر من سبعين الف نسمة وكان له في سالونيك استقبال نادر المثال

فعسى ان تتوثق عرى المواصلات التجارية بين المملكتين العثمانية والروسية بما يعود عَلَى كلتيهما بالخير والنجاح

❊ اهداء النفائس ❊

من الاستاذ يوسف افندي اسطفان الى الدكتور اسبر افندي نصار (عين عنوب) — ومن الاستاذ نعمه افندي سليمان صباغ (كوسبا) الى الدكتور اسكندر افندي فاضل (بيروت) — ومن الاستاذ جبرائيل افندي خوري ايوب الى حضرة الاب الخوري انطونيوس صقر (كفرياسيف) — ومن الخواجا ميخائيل الحجه (الناصرة) الى الحاج حسن افندي الزبده (الرمله)

فنسدي هؤلاء الافاضل خالص الشكر عَلَى حميتهم الادبية